الفصل الاول

اسس التربية

معنى التربية

يتباين معنى التربية ومفهومها تبعاً لتباين واختلاف طبيعة الدراسات النفسية والاجتماعية في نظرتها للفرد والمجتمع ، وكذلك يختلف معناها باختلاف المذاهب الفلسفية والاطر النظرية التي في ضوءها يتم تحديد وتعريف ما يقصد منها كما انها اخذت مفاهيم متعددة ومتنوعه في الحقبات الزمنية المتعاقبة ولو رجعنا الى معنى كلمة التربية في اللغة لوجدنا انها تشير الى الزيادة والتوسع والنمو كما تشير ايضاً الى السمو والارتفاع وهذا يعني من وجهة النظر الاجتماعية ، زيادة مدارك الافراد وتوسيعها من خلال اكتسابهم للعادات والتقاليد وللصفات المرغوبة اجتماعياً ، وللخبرات والمهارات الضرورية لاستمرارهم .

ولقد تعددت وجهات النظر في مفهوم التربية بتعدد الباحثين ومن خلال استعراض التعريفات الخاصة بالتربية نجد انها مختلفة وهذا دليل على عدم اتفاق في تعريف خاص بها .

يعرف ليتري (Littre) التربية (بانها العمل الذي تقوم به لتنشئة طفل او شاب وانها مجموعة من العادات الفكرية او اليدوية التي تكتسب ومجموعة من الصفات الخلقية التي تنمو – وهي من وجهة نظر (هربارت Herbart) (انها موضوع علم يجعل غايته تكوين الفرد من اجل ذاته ، بان نوقظ فيه ضروب ميوله الكثير.

ويعرفها (وليم جميس William James) مادة فن تكتسب في الصف عن طريق ضرب الحدس وعن طريق الملاحظة التعاطفية للوقائع ولمعطيات الواقع اما من وجهة نظر (دوركهايم Durkheim) فيرى فيها تكوين الافراد تكوينا اجتماعياً ، اما (جيمس ميل James Mill) فيرى في موضوع التربية هو (ان نجعل من الفرد أداة سعادة لنفسه ولغيره أما عالم النفس (هنري جولي Henri Joly) فيصفها بان التربية (مجموعة الجهود التي تهدف الى ان تيسر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف ملكاته وحسب استخدامها.

لذا فقد فهمت التربية بانها عملية تقتصر على تلقين المعلومات للمتعلمين في مواد مختلفة وكلما حصل المتعلمون على معلومات كثير ارتفع مستوى تربيتهم ، فالمعيار الوحيد لتربية الفرد هو مقدار المعارف التي تعلمها ، بغض النظر عن أهميتها للفرد والمجتمعة ، وهناك من المربين من حصر عملية تلقين المعلومات هذه بالمؤسسات والمعاهد التي اوجدها المجتمع لهذا الغرض .

ولقد اشار فرويل بان التربية (هي عملية تتفتح بها قابليات المتعلم الكامنة ، كما تتفتح النباتات والازهار اي ان الطفل مجموعة من القابليات وما وظيفة التربية الا العمل في سبيل تفتح هذه القابليات ونموها .

وقد تأثر بعض المربين برأي الفيلسوف (افلاطون) الذي دعا الى نظرية الترويض العقلي وخلاصتها (ان عقل الانسان يروض كما يروض جسمه فكما ان عضلات الجسم تتقوى بالحركات الرياضية المجهدة ، كذلك فان ملكات العقل تتقوى بدراسة المواد الصعبة ، وكلما ازدادت المادة صعوبة ازدادت فائدتها في ترويض العقل).

لذا نجد ان (جون ديوي John Dewey) تحدث عن التربية من الناحية النوعية فيصفها بانها (مجموعة من العمليات التي يستطيع بها مجتمع أو زمرة أجتماعية ، صغرت او كبرت ، ان ينتقلا سلطاتهما واهدافهما المكتسبة بغية تأمين وجودها الخاص ونموها المستمر وأضاف ايضاً (واذا تطرقنا الى التربية من وجهة نظر المراهقين الذين سيصبحون في المستقبل القريب أعضاء في المجتمع وأنها التنظيم المستمر والدائم للخبرة الذي يهدف الى توسيع وتعميق المحتوى الاجتماعي للخبرة ، وفي الوقت الذي يهضم الفرد ويتمثل الوسائل الملائمة لذلك .

وان التربية في الحقيقة صناعة ابتدعها الانسان منذ استقراره على الارض وبدأ بتكوين الحضارة ولذا عرفت التربية بانها (عملية اعداد الفرد الانساني في مجتمع معين وفي زمان ومكان معينين حتى يكتسب المهارات والقيم والاتجاهات وانماط والسلوك المختلفة التي تجعل منهم مواطنين صالحين في مجتمعهم متكاتفين مع الجماعة التي يعيشون معها اي ان التربية هي عملية تعليم وتعلم لانماط مختلفة من السلوك الانساني) .

اذ يمكن القول بان غاية التربية هو الانسان فهو الى جانب كونه اداة للتربية والتنمية وهو الغاية العظمى لها ، كما ان غاية التربية هو المجتمع على اعتبار ان التربية عملية اجتماعية هدفها اعداد الفرد للحياة فهي مجتمع معين ثم تنمية هذا المجتمع وهي في الوقت نفسه وسيلة هائلة من وسائل الانتاج وعنصر هام من عناصر التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فهي ضرورة فردية وضرورة اجتماعية ، فلا الفرد يستطيع ان يستغني عنها ولا المجتمع ،وكلما ارتقى الانسان سلم التطور ازدادت حاجته للتربية وهي بمعناها الواسع بحل نشاط يؤثر في تكوين الانسان سلباً او ايجاباً اياً كان مصدر هذا التاثير ، وهي وسيلة لاستمرار الاجتماعية للحياة وتعد من اهم وظائف المجتمعات الانسانية في نقل التراث للشعب وتوجيه طاقاته وتكيفه الاجتماعي.

ان التربية من وجهة النظر الحديثة ، تعني عملية التفاعل المستمر التي تتضمن مختلف انواع النشاط المؤثرة في الفرد سلباً او ايجاباً والتي تعمل على توجيهه في الحياة الوجهة التي تحدد بوساطتها اساليب معيشته وطرق تكيفه مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها ، وحيث

ان الانسان يعيش في مجتمع له عاداته وتقاليده وقيمه التي يعتز بها وان هذا المجتمع يحيا في بيئة طبيعية لها خصائصها المعروفة والمحددة ، فواجب التربية ان تعمل على تنمية الانسان وتطويره والكشف عن طاقاته وقدراته وامكاناته وتوسيع مداركه بمختلف الوسائل المتاحة لكي يتمكن من اخذ دوره في المجتمع الذي ينتمي اليه بشكل ايجابي وفعال .

فالتربية من هذا المنطلق هي (عملية تكييف ما بين المتعلم وبيئته)

وهي بهذا المعنى تعني النمو والتغير في الانسان ، لكي يتمكن من مواجهة الظروف والعوامل البيئية ويكون بمقدوره التعامل معها باسلوب يخدمه ويخدم افراد مجتمعه .

ان مشاركة الانسان في الحياة الاجتماعية ، بالطريقة المباشرة او غير المباشرة ، تعتبر تربية بحد ذاتها ، ونتيجة لاستمرار هذه المشاركة واتصالها تتشكل لدى الفرد اتجاهاته وعاداته الخلقية والفكرية والاجتماعية .

ومن هذا نلخص الى القول بان تحديد معنى التربية يتوقف على الزاوية التي تطل منها عليها ، فاذا نظرنا اليها من حيث كونها عملية تكتسب فيها صغار الكائنات الحية غير النباتية من كبارها اساليب العيش والتكيف للظروف البيئية عن طريق الاشتراك الفعلي في الحياة اليومية المعتادة ، اصبحت التربية تنتشر بين الانسان وسائر الحيوانات على حد سواء ، ولكن للحياة جانباً اخر ينفرد به الجنس البشري وحده الا وهو الجانب الاجتماعي فالتربية صناعة الكائن صناعة اجتماعية وادخاله في المجتمع من الوجهة الصناعية والنفسية والوجهة الروحية في آن واحد ولايمكن ان يكون للتربية غير هذه الصفة لان الانسان لايمكن ان يعيش في غير الحالة الاجتماعية فلا تربية بلا مجتمع ولا مجتمع بدون تربية ولكي ينجح المجتمع ينبغي ان ينتقل الى الناشئين ارثه من المعارف والعادات والتجارب المادية والروحية .

ان التربية ضرورة اجتماعية ، وهي حتمية الحدوث نظراً لكون الانسان يعيش في مجتمع معروف وتصبح نتيجة لذلك عملية تنشئه اجتماعية وتصبح من جانب المتعلم جمع الاثار التي يتركها المجتمع في سلوك الفرد وتصرفاته في المواقف الاجتماعية المختلفة .

الاساس التاريخي للتربية

وجدت بمفهومها العام بوجود الحياة فمنذ نشأة الانسان على هذا الكوكب اخذ يكيف نفسه للطبيعة اولاً ثم بدأ تدريجياً يسخر الطبيعة لاغراضه الخاصة ، وخلال الاف السنين قبل الميلاد وقبل ان تخترع الكتابة كانت العادات والمعتقدات والقصص تنتقل من جيل الى آخر عن طريق حفظها وترديدها .

ونتيجة لتراكم التراث الاجتماعي ، فقد استطاع الانسان ان يتعلم شيئاً فشيئا كيفية مضاعفة قواه في لاتصال ، وتنظيم المجتمع الذي ينتمي اليه ، وذلك عن طريق اللغة والعادات والقوانين ،

واستطاع ايضاً توسيع نظريته للكون من خلال اكتشافه وابتكاره لوسائل مناسبة في التنقل والسفر ، وكان لعملية التطور الابداعي الخلاق لطموحاته وتصوراته ، التي عبر عنها بالفن والادب والدين اثر في ارتقائه العالي وان تصوراته عن كيفية حدوث هذا التعليم وامكانية تحقيقه ونقله شكلت تاريخ الفكر التربوي .

لقد ارتبطت عمليات التفكير عند الانسان ارتباطاً وثيقاً بعلاقاته البيئية وبذلك فان تركيز الرجل البدائي لا يتعدى نطاق طعامه وآمنه ولا يخرج اهتمامه عن اشباع حاجاته اليومية المباشرة ورغبته في اخضاع القوى التي تقف بينه وبين هذا الاشباع لذلك فقد تفتحت قواه الادراكية الحسية اما قواه التفكيرية فتأخرت وهو يشعر تماماً ببيئته الحاضره والمباشرة وتربيته لا تتعدى ان تكون اعداده لهذه البيئة دون ان تكون هناك اية محاولة للتاثير في المستقبل البعيد وضبطه او الانتفاع بتجارب الماضي .

ولكن بتطور الحضارة الانسانية واحتكاك المجتمعات ببعضها البعض آخذت افاق الانسان بالتوسع ، وعندما تحققت المدنية ، حدث تقدم في الافكار المتعلقة بالتربية (لقد حدثت التربية منذ فترة طويلة وقبل ان يفكر بها اي شخص ، فكر الناس بالتربية منذ زمن طويل وقبل ان يكتب عنها اي فرد كتب الناس عنها قبل ان تكون هناك اي مشكلة تربوية .

ونظراً لكون المشكلة الرئيسية التي عانى منها الانسان ما قبل التاريخ تكمن في كيفية المحافظة على نفسه وحمايتها وافراد عائلته من القوى الطبيعية المدمرة ومن اعدائه (الانسان والحيوان) فقد كان الأمن هو الهدف الاساس للتربية البدائية ، فالنار والرعد والبرق والعواصف والموت وغيرها جميعها يمكن اعتبارها عوامل بثت في قلب الانسان البدائي وزرعت في عقله مشاعر الخوف والرهبة واثارت لديه الفكرة العمل على التخلص من اخطارها وترسيخ هذه الفكرة لدى صغاره ولما كان التكيف مع ظروف البيئة مطلباً ضروريا للأمن الاجتماعي فقد اصبح هذا هدفاً آخر من اهداف التربية البدائية ذلك ان الخطر العام المحيط بالمجتمعات البدائية ادى الى ان يعيش الناس على هيئة عوامل وقبائل ، فجاءت نتيجة لذلك المشكلة العريقة للحياة الاجتماعية المتمثلة بالتكييف ، فأنسجام الفرد مع الجماعة يشكل الجزء الاساسي لتربيته ، ولذا فان من الضروري للانسان ان يتكييف مع الاخرين بقية الحصول على الأمن لنفسه ولعائلته ولجماعته التي ينتمي اليهم ومن هنا جاء التاكيد منصباً على الولاء القبلي بصورة اكثر من الولاء الفردي .

وان دراسة تاريخ التربية ضرورة مهمة لا يمكن تجاهلها لانها تظهر لنا حياة المجتمع وتفاعله مع الشعوب الاخرى وتحديد المشاكل التي تعترضه من اجل وضع الحلول المناسبة لها على ضوء دراسة العوامل المؤثرة في الماضي .

ان وجود البعد التاريخي او الاصول التاريخية يساعد العملية التربوية في معرفة :

لقد كانت انماط التربية في المجتمعات البدائية متشابهة وكان اتقانها شائعاً بين افراد الاسرة والقبيلة ، الا ان بمرور الزمن اتسعت فعاليات الانسان وظهر تفاوت بين مقدرات الناس في اتقان بعض المهارات فقد أمتاز بعض الناس بالمقدرة على الصيد واخرون في السباحة وغيرهم في اتقان الحياكة واخرون في صناعة ادوات القتال ، فاخذ هؤلاء يعلمون الصبيان والشباب ما عندهم من مهارة وبراعة ومن هنا ظهر نظام التلمذة وظهر النوع البسيط من التعلم (معلم واحد يعلم فناً واحداً من الثقافة) وهكذا ازدادت الخبرة البشرية في مجالات عديدة .

اما مضمون التربية البدائية كان يشمل ثلاث عمليات هي :

١- التربية الجسدية او التدريب البدني :

لكونه ضروري لارضاء الدوافع الاولية المتعلقة بالطعام والمأوى والملبس ، وقد تركت الاقوام البدائية لاطفالها مجالاً واسعاً للحرية ، التي يستفيدون منها في الركون الى الكثير من الالعاب المسلية ومن العابهم المفضلة ان يقلدوا اعمال الكبار ويتدربوا عليها منذ نعومة اظافرهم.

وبذلك فان هذه الالعاب تعد الاطفال وتؤهلهم للمشاركة في الحياة الفعلية ، وتسهم بصورة فعالة في تكوينهم العقلي والفكري ، عن طريق شحذ قابلياتهم في الملاحظة والابداع والتصور مما يساعدهم ويمكنهم من العيش بسلام في الجماعات التي ينتمون اليها ، وعلى المساهمة الايجابية المثمرة في النشاطات المختلفة ، عندما يبلغون السن المحدد للقيام بهذه النشاطات .

٢- التربية الخلقية والدينية او التدريب الروحي :

اعتبر ضروري لانه يسترضي العالم الغيبي عن نفس الشخص وعائلته ، وكانت التربية الخلقية تتم بصورة عفوية ودون ما اكراه واعتقد الرجل البدائي بان العقاب البدني مهين ، وان الافراط في تقريع الطفل او ضربه يجعل روحه قلقه في جسده مياله الى الانفصال عنه .

لقد حرص البدائيون على نقل بعض المبادئ السلوكية المرغوبة الى انبائهم وغالباً ما اتصلت اوامرهم بتقديس الاجداد واحترام الشيوخ والاباء بقلوب ملؤها الصدق والوفاء والطاعه وكانت السمة المميزة والغالبة لهذا النوع من التربية هو الجانب الروحي الذي يبدوا واضحاً في التعاليم والطقوس الدينية التي يمارسونها .

٣- التربية الفكرية او المعرفة الاجتماعية للعادات والمحرمات والتحفظات والتي تكون ضرورية للحياة الاجتماعية المتألقة .

ولما ظهرت الكتابة في المجتمع البشري كان ظهورها اولاً واختراعها في المجتمع السومري في العراق القديم وتطورت التربية بظهورها واصبحت بأمكان من يتعلم رموزها ان يدون أفكاره بنقلها الى غيره من معاصريه او من يجيء من بعده فأزدادت مسألة التخصصات رسوخاً وازدادت التربية قرباً وترسخت العلاقة بين المعلم وتلاميذه.

وبعد أختراع كتابة أصبح للتربية مناهج مدونة وزاد أرتباطها بالتراث الذي أخذ يتراكم على مر السنين وزاد التخصص فيها عمقاً وصارت الحاجة اليها أشد مما كانت عليه في السابق .

وبعد ارتقاء التربية وبلوغها درجة من التعقيد أصبحت ذات صفة أرستقراطية فقد احتكرها رجال الدين والطبقة الحاكمة الغنية أما الطبقات الفقيرة من الشعوب فقد أقتصرت على تعلم المهارات الأساسية في الحياة .

وعندما قامت الثورة الصناعية ، وما صاحبها من تفسير في العلاقات الاقتصادية والأجتماعية اذ كانت المجتمعات الاوربية تعاني من ظروف واوضاع سيئة لاسيما بالنسبة للاطفال فقد أدى هذا الأمر الى سن القوانين وتشريع الانظمة التي تحدد ساعات العمل ، وتتيح فرصة الدراسة والتعلم للاطفال ، وتؤكد على ضرورة منح الاطفال قدراً كافياً من التعليم وكان نتيجة ذلك أن أنتشرت المدراس ذات الدوام غير الكامل ، إذ كان الصبي يقوم بأداء عمله في المعمل ويخصص له الوقت المناسب للذهاب إلى المدرسة .

وفي مطلع القرن التاسع عشر الذي تمتيز بالتقدم العلمي والنهضة العلمية فقد انتشرت المدارس وفتحت ابوابها للراغبين في التعلم بشكل عام ، وتطور نتيجة لذلك التعليم ، وتنوعت أساليبهُ ووسائله وظهرت انواع مختلفة من المدارس وهكذا تغيرت النظرة نحو المدرسة من مكان معد للتعلم الى محل معد لتربية الطلبة وتوجيههم وارشادهم واعدادهم لمواجهة مطاليب الحياة وتزويدهم بالمهارات والخيرات التي تساعدهم على شق طريقهم في الحياة الاجتماعية بما يضمن لهم ولمجتمعهم حياة سعيدة وكريمة .

سمات التربية البدائية :

١- انها تمثل يقظة العقل البشري وأحساسه البكر بضرورة نقل الخبرة من جيل الى آخر يحتاج اليها وهي من أولى الأشياء التي وسعت الفرق بين مجتمع الأنسان ومجتمع الحيوان .

٢- لقد كانت بسيطة في محتوياتها وكانت تجري بصورة غير مقصودة فقد كان الاطفال يتعلمون ما تعلم أهلهم او افراد القبيلة بالتلقين والتقليد والمشاهدة .